الفاء العاطفة وأسرارها البلاغية في ضوء الأساليب القرآنية

فضل الله *

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فمن المعلوم أن الله تعالى اختار لكتابه المعجز اللغة العربية لتكون وعاءًله؛ لأنها لخصائصها المستودعة من لدن حكيم عليم تستطيع أن تستوعب أسرار القرآن الكريم. والدليل على ذلك أنها اختارت اللفظ الأقصر صوتا، والأسرع نطقاً –أي الفاء- ليدل على سرعة تعاقب الأحداث، كما هو شأن (الفاء) المكوَّنة من حرف واحد، يمر بظاهر الشفة همسا، وكأن ماعبرّ عنه من الأحداث يمر بسرعة صوته، ثم اختارت اللفظ المطول نطقاً، بما ضمه من حروف ثلاثة وما صاحبه من تضعيف أثقل حركته على اللسان–أي الفاء- ، ليدل على بطء حركة الأحداث، وتثاقل خطوات الزمن.

وقد راعى القرآن الكريم جميع مقتضيات الكلام، وأتى بما هو الأنسب والأليق، ولايمكن أن يؤتى أحسن منه. ما من نقطة أوحركة أو نبر أو تنغيم في أية كلمة أو جملة إلا وراءها سر ومغزى ومزية، ولو غيّرت الكلمة أو الجملة القرآنية أية تغيير (على سبيل الفرض) تفقد رونقها وجمالها؛ لأن القرآن الكريم أنزل من لدن حكيم عليم، وهو أعلم بالمناسبة والملاءمة بين الحروف والكلمات والجمل والفقر. في حين أن التغيير يكون من إنسان عاجز، محدود القدرة والعقل، ومعرفته وعلمه ناقص وفكره محدود وأفق ذهنه ضيق. وهو لا يستوعب سعة جمال الأسلوب القرآني وروعته.

ومن حسن حظ الإنسان أن يوفق للتدبير والتفكر في كتاب الله عزوجل؛ لأن المعايشة مع القرآن الكريم والتدبر في أسراره والتفكر في آفاقه والتمعن في أعماقه والتأمل في أسلوبه له لذة لايتذوقها إلا من رُزق نصيبا من التوفيق الإلهى والرحمة الخاصة منه. اللهم وفقنا فهم أسرار كتابك وارزقنا التدبر والتفكر فيه والعمل به واجعلنا من أولى الألباب.

المبحث الأول:

دلالات الـفــاء

من المعلوم أن (الفاء) من حروف العطف، وقد تكلم علماء النحو عن مواقعها واستعمالاتها بالبسط والتفصيل في كتبهم ونحن لن ندخل في المجال النحوي للـ(فاء) إنما نركز علي الجوانب البلاغية للـ(فاء) بدءاً بفائدتها ودلالاتها ولطائفها وأسرارها. إن شاء الله تعالى.
تفيد (الفاء) تفصيل المسند مع الاختصار، فمثلاً قولك: "زارني خالد فعمرو، تفيد هنا (الفاء) تفصيل المسند مع قصد الاختصار. من الملاحظ أن تفصيل المسند إليه حاصل أيضاً في العطف بهذا الحرف لكنه غير مقصود، بل المقصود بالذات فيها هو تفصيل المسند لأن الكلام إذا اشتمل على قيد زائد على مجرد النسبة كان القيد هو المقصود من الكلام، والقيد هنا هو الترتيب بين المجيئين بلا مهلة وهو زائد على إثبات المجئ للفاعل، وكان إثبات المجئ أمرا معلوماً وإنما سيق الكلام لبيان أن مجئ أحدهما كان بعد الآخر من غير مهلة، فلو قلت جاءني زيد فعمرو يكون الغرض إثبات مجئ عمرو بعد مجئ زيد بلا مهلة حتى كأنه معلوم أن الجائي زيد وعمرو والشك إنما دفع في الترتيب التعقيب.

---

* الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية و الحضارة الإ سلامية، الجامعة الإ سلامية العالمية، اسلام آباد–باكستان۔

إن (الفاء) و(ثم) تشتركان في تفصيل المسند من جهة وتختلفان من جهة، أن (الفاء) تدل على ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسة للمتبوع بلا مهلة و(ثم) تأت بمهلة. وقد وضّح سيبويه وظيفة (الفاء) بقوله "والفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء، كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض"(1).

وألقى السيرافي ضوءاً كاشفا في شرح أبيات سيبويه قائلا "الفاء التي للعطف من شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف والمعطوف عليه حاصلا للمعطوف بعد حصوله للأول، نحو قولك: زيد آتيك فمحدثك، أي يحصل الحديث من قبله بعد إتيانه بلا فصل ولا يجوز أن يكون الحديث الذي أخبرت به عنه حصل قبل الإتيان، ولافي الحال التي حصل فيها الإتيان، وإذا أردت أن تخبر عن شخص من الأشخاص بخبرين هما حاصلان له في حال واحدة، لم يجز أن تعطف أحدهما علي الآخر بالفاء، لأنهما حصلا في زمان واحد، والفاء توجب أن زمان أحدهما بعد زمان الآخر ، فإن أدخلت الفاء فسد معني الكلام..."(2).

إذا تأملنا في كلام سيبويه أولاً وكلام السيرافي ثانيا فنجد أن الفاء تفيد أمرين.

1. الترتيب. 2. التعقيب مع الوصل.

1. الترتيب.

والترتيب، نوعان ذكري ومعنوي، أما الترتيب المعنوي فهو ترتيب زمني. أي: أن تحقق المعطوف متأخر عن تحقق المعطوف عليه، كما في قام زيد فعمرو، وقوله تعالى: **(فَوَكَزَهُ مُوْسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)**(3)وقوله عزّ وجل:**(لآكِلُوْنَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّوْمٍ، فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُوْنَ)**(4)؛ لأن القضاء ترتب على الوكز المتأخر عليه، وملء البطون ترتب على الأكل المتأخر عنه.

وأما الترتيب الذكري فمعناه أن الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه بالنسبة للكلام لا للزمن، أي إنما يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنها في كلام سابق، وترتيبها فيه، لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما ويسميه ابن هشام (عطف المفصل على المجمل)(5)نحو**(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ)**(6)وقوله عزّ وجل: **(فَقَدْ سَأَلُوْا مُوْسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوْا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً...)**(7)ونحو "توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه".

2. التعقيب:

من المعلوم أن التعقيب من أهم معاني (الفاء) وبه اختصت (الفاء)، وبه وحده امتازت عن شقيقتها (ثم)، ويقصد بالتعقيب وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بلافاصل زمني.

ولكون التعقيب لازماً في الفاء، وبه يتعلق الغرض من الكلام، بحسبانه أمر زائد علي مجرد الإثبات قال الرضي: "فإذا نفيت مثلاً قولك جاءني زيد فعمرو,, فقلت: ما جاء ني زيد فعمرو، فأنت ناف لتعقيب مجيئ عمرو لمجئ زيد، فيمكن أن يحصل المجيئان في حال، وأن يحصل مجئ عمرو قبل مجيء زيد(8).

وهناك آيات كثيرة بحيث أن (الفاء) أتت لتدل علي أن المعطوف وقع بعد المعطوف عليه بلا مهلة وفصل. فمثلاً قوله تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَي السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ...]**(9) فسوّاهن عطف على (استوى)، وليس هناك فاصلة زمنية بين الاستواء والتسوية، ولذا قال أبو السعود "ولايخفى مافي مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع، وفيه إشارة إلى ألا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات"(10).

وكذا قوله تعالى: **[ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ...]**(11) إذ ليس هناك فاصل زمني بين

العرض عليهم والقول[12].

والتعقيب، في كل شيء بحسبه فقد لايكون هناك فاصل زمني مطلقاً، وقد يكون هناك فاصل زمني قليل أوكثير. ففي قوله تعالى: (**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**) نجد التعقيب دون فاصل زمني؛ لأن الموت أعقب الوكز مباشرة. وفي قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً**)[13]نجد التعقيب هنا مع وجود فاصل زمني هو مدة إخصاب الأرض بالمطر وهو فاصل قليل نسبياً.

وأما الفاصل الزمني الكبير ففي قوله تعالى: (**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**)[14]فإننا نجد هذه المراحل يفصل بينها الأسابيع أو الشهور، فمعنى التعاقب هنا ليس في التوالي الزمني السريع، وإنما عدم الفصل بين هذه المراحل بمراحل أخرى.

وقد تأتي الفاء: للسببية، ويقصد بالسببية هنا معناها العام أي تسبب المعطوف عليه في حدث المعطوف، كالآية الكريمة المذكورة:[**فَوَكَزَه مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**] لأن الوكز تسبب في القضاء عليه، وكذلك قوله تعالى: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيْم**)[15]

فلنتأمل مثلاً في قوله تعالى:[**فِيْ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**][16]

بيّن الله تعالى حالة قلوب المنافقين بأن قلوبهم صارت وعاء للأمراض النفسية القبيحة من الحقد والحسد والنفاق، وينمو هذا المرض لنمو أعمالهم القبيحة، وهناك نوع من الاستمرار الكامن بين المرض والنمو وتواصل خفي حيث أن قلوبهم لا تخلو من النفاق كما لا تخلو من نمو النفاق متواصلاً.

والتعبير بـ(فا) في (فزادهم) لأن (الفاء) للدلالة على مضمونها عليه[17]؛ لأن الأخلاق الذميمة الناشئة عن النفاق تتزايد بتزا يد الأيام؛ وإنما كان النفاق موجباً لازدياد ما يقارنه من سيئ الأخلاق؛ لأن النفاق يستر الأخلاق الذميمة فتكون محجوبة عن الناصحين والمربين والمرشدين وبذلك تتأصل وتتوالد الى غير حد، وأسندت زيادة المرض إلى المولى عزوجل؛ لأن الله تعالى لما خلق هذا التولد وكان أمراً خفياً نبّه الناس على خطر الاسترسال في النوايا الخبيثة والأعمال المنكرة، وأنه من شأنه أن يزيد تلك النوايا تمكناً من القلب فيعسر أو يتعذر الإقلاع عنها بعد تمكنها[18].

الخلاصة أن مرض النفاق مرض كامن ولا يعرف أولاً. ثم أن هذا المرض ينتشر بسرعة فائقة وبدون أي توقف أو مهلة، ولذا عبّر سبحانه تعالى بقوله: (فزادهم).

وكذلك قوله تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَارَبِحَتْ تِجَارَتُهُم[19] [فما ربحت ...]عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتيب مضمونه عليها"[20]؛ لأن (الفاء) رتبت عدم الربح المعطوف بها وعدم الاهتداء المعطوف عليه على اشتراء الضلالة بالهدى؛ لأن كليهما ناشئ عن الاشتراء المذكور في الوجود والظهور؛ لأنهم لما اشتروا الضلالة بالهدى فقد اشتروا مالا ينفع وبذلوا ما ينفع فلاجرم أن يكونوا خاسرين[21]. أي أن (الفاء) في [فما ربحت] أفادت التشريك الخسارة بالاشتراء والترتيب بحيث أن اشتراء الضلالة حصلت أولاً وأتت الخسارة بعده بلامهلة.

وكذا قوله تعالى:[وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا إِلاَّ إِبْلِيْسَ][22]فقوله (فسجدوا) عطف على (قلنا)، والفاء هنا للتعقيب بلا مهلة، وهي تفيد هنا مسارعة الملائكة إلى الامتثال وعدم تلعثم في ذلك[23].

وكذا قوله تعالى: [فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا][24]فقوله (فأنزلنا) عطف على (فبدل) وهي تفيد التعقيب مع الوصل[25].

وهناك آيات كثيرة ، وذكرنا هنا على سبيل التمثيل فقط[26].

ومن الملاحظ أن (الفاء) السببية لا تخلو من معنى الترتيب وهو كثير في القرآن وفي سورة البقرة فمثلاً قوله:[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ][27]ففاء فتوبوا فاء السبب؛ لأن الظلم سبب في الأمر بالتوبة[28].

المبحث الثاني:

عدول الفاء عن الترتيب وأسراره البلاغية

تأتي الفاء لإفادة الترتيب والتعقيب مع الوصل وقد تأتي لإفادة السببية، وقد تعدل الفاء عن الأصل فلا تفيد الترتيب والتعقيب لأسرار بلاغية وأغراض معينة. وفيمايلي نُحاول إلقاء الضوء على تلك الأسرار.

لا يخفى على المتأمل في الأسلوب القرآني أن كثيراً من نصوصه خالف ظاهر ما أوجبه العلماء من تقدم المعطوف عليه في الوجود، فوقعت فيه (الفاء) عاطفة لما هو متقدم على المعطوف عليه حيناً، ولما هو واقع معه في آنٍ واحدٍ حيناً آخر، فاضطر الكوفيون إلى القول بأن الترتيب لا يلزم فيها، واستدلوا بقوله تعالى:[وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا][29]لأن البأس في الوجود واقع قبل الإهلاك، وهو في الآية مؤخر عنه[30].

وأما البصريون الذين يرون الترتيب معنى لا يختلف في (الفاء) فإنهم يؤولون ذلك بأحدوجهين: إما بالتأول في الفعل علي سبيل التجوز بالمسبب عن السبب، وإما بالتأول في الترتيب، وجعله ترتيباً لفظيا أطلقوا عليه الترتيب في الأخبار[31]. والكوفيون يؤولون الآية بقولهم وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا فهلكت[32]. وأما البصريون يؤولون ذلك بأحد الوجهين: إما بالتأول في الفعل على سبيل التجوز بالمسبّب عن السبب، وإما بالتأول في الترتيب، وجعله ترتيباً لفظياً، أطلقوا عليه الترتيب في الإخبار[33].

وفيمايلي نسلط الأضواء في هذه المسألة بشئ من التفصيل. إذا قرأنا رأى الفراء –وهو إمام الكوفيين- فنجد أنه يقرّ بأن الترتيب هو الأصل في العطف بالفاء، وأن العدول عنه يحتاج إلى بيان السرّ فيه يقول الفرّاء، يقال: إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك، فكيف تقدم الهلاك؟ قلت: لأن الهلاك والبأس يقعان معاً،كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، إنما وقعا معاً، فاستجيز ذلك، وإن شئت كان المعنى: وكم من قرية أهلكناها، فكان مجئ البأس قبل الإهلاك، فأضمرت كان... قد يكونان خبراً بالواو: أهلكناها وجاءها البأس بياتاً[34].

في تساؤل الفرّاء وجوابه عليه، دليل على أن الترتيب هو الأصل، وإلا فما كان بحاجة إلى التأول. عند إمعان النظر في الآية الكريمة المذكورة يتضح بأن تقديم الإهلاك على مجئ البأس عدول عن الظاهر في الترتيب، وهو ما قرره ابن عطية الأندلسي (ت: 541هـ) بقوله: وقوله (فجاءها) يقتضي ظاهرا أن المجئ بعد الإهلاك. وذلك مستحيل، فلم يبق إلا أن يعدل عن ظاهر هذا التعقيب[35]، فقيل: الفاء قد تجئ بمنزلة الواو، ولا تعطي رتبة، وقيل: عُبّر عن إرادة الإهلاك، مثل قوله: **[فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ]**[36]وقيل: المعنى أهلكناها بالخذلان وقلة التوفيق، فجاءها بأسنا بعد ذلك"ولايخفى ضعف هذه الأوجه المذكورة[37].

وخير ما قيل في تأول الفعل ما ذهب إليه الشهاب قائلا "فالصواب أن يقال: معناه خلقنا في أهلها الفسق والمخالفة"؛ لأنه يتجاوب مع قوله تعالى: [وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا

فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا][38].

فإطلاق المسبّب وإرادة السبب، تعبيراً بالإهلاك عن الفسق، فيه تحذير شديد من الوقوع في المعاصي، وإيحاء بقوة العلاقة بين المعصية والهلكة، وشدة الارتباط والتلازم بينهما.

أو تقديم الهلاك لأهميته، والتنبيه من أول الأمر على أن إرسال العذاب لم يكن بقصد الزجر والابتلاء، وإنما كان دليل غضب وانتقام و إبادة، لا يترك معه من باقية، وهو سر التعبير بالقرية دون أهلها، وكأنّ الله قد محاها من الوجود، فهو عذاب استئصال، لا تخويف وإنذار وإلى هذا الوجه يلمح قول السهيلي: "دخلت الفاء لترتيب اللفظ، لأن الهلاك يجب تقديمة في الذكر[39].

وإذا تعمقنا في الآية المذكورة فنجد أن (فجاءها) يقتضي ظاهره أن المجيء بعد الإهلاك وذلك مستحيل فلم يبق إلا أن يعدل عن ظاهر هذا التعقيب فقيل:

1. الفاء قد تجيء بمنزلة الواوُ، ولا تعطي رتبة.
2. أو عبّر عن إرادة الإهلاك بالإهلاك.
3. وقيل أهلكنا بالخذلان وقلة التوفيق، فجاءها بأسنا بعد ذلك.
4. أو أن (الفاء) هنا لتعقيب القول.

كذا قوله تعالى: (وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[40] قال أبو جعفر وإن كان الأمر في قوله جل ثناؤه (وإذا قضى أمرًا إلخ) هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود وجود المأمور بالوجود فبيّن ذلك أن الذي هو أولى بقوله (فيكون) الرفع على عطف قوله تعالى (يقول)؛ لأن القول والكون حالهما واحد، وهو نظير قول القائل "تاب فلان فاهتدى و(اهتدى فلان فتاب) ؛ لأنه لا يكون تائباً إلا وهو مهتد، ولا مهتديا إلا وهو تائب، فكذلك لا يكون الله آمراً شيئاً بالوجود إلا وهو موجود ولا موجود إلا وهو أمره بالوجود[41].

والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة بتوجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر وحصول امتثاله عقب ذلك، لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لاتتسع اللغة للتعبير عنها[42]؛ لأن الزمن يتلاشي في أفعال القادر الحكيم، فلا يتصور أن يتخلل الزمن بين أمر القادر وفعله، حتى تبحث عن ترتيب وجودي في دلالة الفاء، وإنما هو ترتيب ذهني، يتيح للمخاطب أن يتصور ترتيب الموجود على إرادة الموجد، وليس ترتيباً خارجياً يقع فيه المكون بعد أمره أن يكون. وتدل معه (الفاء) على الطواعية المطلقة والمسابقة إلى الانصياع لأمره[43]. وقد وزّع محمود بن محمد الجو نفوري الترتيب قائلاً "ويجب أن نتنبّه أولاً؛ لأن الترتيب قد يكون خارجياً، نحو: (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ)[44] وقد لا يكون كذلك، فإما أن يكون بحسب الحكم القاطع من العقل، كما بين العلة والمعلول، وإن كانا مقارنين في الوجود وفي الخارج نحو: (أن يقول له كن فيكون) أو بحسب اعتبار مناسب بين الأمرين، إما بلحاظ ذاتهما أووجودهما في الخارج، كما بين الأدنى والأعلى، والأيسر والأصعب، أو باعتبار حصولهما في الذهن، أو استحقاقهما الذكر في اللفظ بين المجمل والمفصل"[45].

في هذه الاعتبارات التي ذكرها الجونفوري تكمن أسرار النظم، وبها نتجاوز أقوال النحاة إلى إشارات أهل المعاني، نعبر حدود الزمن، لننفذ إلى أعماق المتكلم، ونصغى إلى مايهمس به من أغراض، ونسبر أغوار المخاطب، لنرقب حركة فكره في مواكبته لما يلقى عليه، وكيف تترتب المعاني في ذهنه، على النحو الذي يربط فيه بين العلل ومعلولاتها، والمقدمات ونتائجها، فيقدم له المتكلم العلة على معلولها حينا، والمعلول على علته حيناً، طبقا لتشوقه وترقبه، ويقدم له المجمل على المفصل، لينتقل من النظرة الكلية إلى النظرة الجزئية الفاحصة، ويفاجئه بالنتيجة حينا ثالثا قبل ذكر مقدماتها،

لتكون بمثابة الصدمة التي تنبه مراكز الإحساس عنده، فيتلقى الخبر بما يجب أن يتناسب مع خطره وأهميته. ثم ننظر إلى حال الخبر في ذاته، حيث ترتب المعاني وفقا لوجودها الخارجي تارة، ولأهميتها في سياقها تارة أخرى، وكل ذلك تمليه دواعي الأحوال وأغراض السياق.

ومما وقع فيه قلب الترتيب بالفاء، ماحكاه الله تعالى في قصة المعراج[عَلَّمَهُ شَدِيْدُ القُوى ذُوْمِرَّةٍ فَاستَوى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعلى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى][46].

قال الفرّاء: "كأن المعنى: ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً، أو كالواحد قدّمت أيهما شئت، فقلت: قد دنا فقرب، وقرب فدنا، ..."[47].

يتضح من كلام الفرّاء أن الفعلين عنده مترادفان، وهو ما لايليق بالنظم الكريم. وقد ذكرت معاجم اللغة معاني عديدة لكلمة "التدلي" منها النزول من العلو، والقرب بعد علو، والتواضع والإدلال[48]، ولكن أنسب المعاني هنا هو النزول من العلو، ليتناغم مع قوله تعالى: [وهو بالأفق الأعلى] ويكون المعنى على نزول جبريل ليدنو من الرسول -عليه السلام- كان ظاهر النسق يقتضي أن يقال: تدلى فدنا، لكن القرآن عدل إلى ما عليه النظم على سبيل القلب، كما نص عليه أبو البقاء، وعده من قلب العطف قائلا "أي تدلى فدنا؛ لأنه بالتدلي مال إلى الدنو".[49]ولعل الغرض من هذا هو الإشعار بأن هذا الحدث قد أحاطت به خوارق العادات، فهو يجري في عالم الغيب، حيث لايمكن تصور وقائعه على قياس مايجري في عالمنا، ولا يمكن إخضاعه للقوانين التي اعتدناها في عالم الشهادة، إنه رمز للإعجاز في الزمان والمكان والحدث، ولاغرابة في أن تسبق الغايات الوسائل، ويقع الدنو قبل التدلي، ويكون سبق التدلي مشيراً لأهمية في إجلال النبي وتكريمه، حين يكون سعي جبريل إليه في محاولة للتقرب منه تشريفاً وتعظيماً لمن استضافته السماء في هذه الليلة الكريمة.

ومما خالف ظاهر الترتيب في العطف بالفاء قوله تعالى: [أَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِيْنَ يَعْمَلُوْنَ فِي البَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْبًا][50]فإرادة تعقيب السفينة في الحقيقة مترتبة على مجموع أمرين هما: كون السفينة لمساكين والخوف من اغتصاب الملك لها، ولوروعي أصل الترتيب، لقيل: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، فأردت أن أعيبها، لكن النظم عمد إلى تقديم إرادة العيب، بحيث تقع مترتبة على كون السفينة لمساكين، إشارة إلى أنه هو السبب الأصيل في حرصه على تعييبها واستنفادها من استيلاء الملك عليها، ولذا أشار الإمام أبو السعود بقوله: "ولعل تفريع إرادة تعقيب السفينة على مسكنة أصحابها قبل بيان خوف الغصب، مع أن مدارها كلا الأمرين للاعتناء بشأنها، إذ هي المحتاجة إلى التأويل، وللإيذان بأن الأقوى في المدارية هو الأمر الأول، ولذلك لايبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق الغصب في حقهم أيضاً"[51].

إن القرآن حين يعدل في بعض المواضع عن الترتيب الوجودي بالفاء، تحقيقا لأغراض النظم، لايخالف طرائق العرب، ولايخرج عن سَنَنِهم في كلامهم، فهذا المساور بن هند[52] يصف إعراض الغواني عنه، فيقول:

ورأين شيخا قد تحنيّ صلبه   يمشي فيُقْعى أو يُكِبُّ فيعثر

فيقدم الإكباب على العِثار، مع أن الأخير أسبق في الوجود. وقد علق المرزوقي (ت:421هـ) على ذلك بقوله "وكان الواجب أن يقول، أويعثر فيكب؛ لأن العثار قبل السقوط لكنه لم يبال بتغيير الترتيب لأمنه من الالتباس، وهذا دون ما يجئ في كلامهم من القلب[53].

هذا التعليل للخروج على الترتيب المألوف بالأمن من الالتباس لايرتفع إلى مستوى الكشف عن المعاني المخبوءة في النفس، والتي أراد الشاعر أن يبثها في نفس مخاطبه، من خلال تعمده عكس الترتيب... فقد صار إلى حال انعكست فيها الأمور، وانقلب ذَنَبُهَا راساً، وأدبرت عنه الغواني بعد إقبال، وعِفْن لقاءه بعد أن كن يتحرقن شوقاً إليه، وتسرب الوهن إلى بدنه ونفسه، وتقدم ما كان متأخرا، وتأخر ما كان متقدماً، ولا تعبير عن هذا الانقلاب في حياته وحيوات الناس من حوله إلا أن يعكس ترتيب الألفاظ على لسانه، ليومئ إلى هذا الاختلال الذي يحس به، والتناقض بين أمسه ويومه على ما يتزاحم

في نفسه.

المبحث الثالث:

التفـاوت الــرتبــي

التفاوت الرتبي من أعظم مواقع (الفاء) وأكثرها امتلاء بالمعاني والإشارات. وهذا المعنى اخترعه الزمخشري واهتدى إلى هذا المعنى لإشارة الراغب الأصفهاني(54)عن (ثم) والزجاج منقولة عن لسان العرب(55).

دلالة (الفاء) على التفاوت الرتبي من المعاني المجازية التي يستعارفيها الترتيب الزماني للدلالة على التدرج في الفضل والشرف فمثلاً نأخذ قوله تعالى: [إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا](56)والفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب، وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتب بين مفاعيل (أن يضرب). وقد بيّن الإمام الرازي المراد من الفوقية بقوله: "أحدهما أن المراد فما هو أعظم منها في الجثة، كالذباب، والعنكبوت، والحمار، والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله تعالى بكل هذه الأشياء والثاني أراد بما فوقها في الصغر، أي بما هو أصغر منها. والمحققون مالوا إلى هذا القول لوجوه:

أحدها أن المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة، كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً.

وثانيها أن الغرض هنا بيان أن الله تعالى لايمتنع عن التمثيل بالشي الحقير، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانياً أشد حقارة من الأول(57).

ولكن الشيخ الطاهر بن عاشور أضاف وجها آخر في التجوز بها عن هذا المعنى، وهو أن تكون مجازا مرسلاً بعلاقة الإطلاق والتقييد، فقال" ... المراد ببيان المثل بأنه البعوضة وما يتدرج في مراتب القوة، زائدة عليها درجة تلي درجة، فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد؛ لأن (الفاء) موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص، فاستعملت في مطلق الاتصال، أوهي مستعارة للتدرج؛ لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر وفي التعقل كما أن التعقيب تأخر في الحصول"(58).

والترتيب المجازي بالفاء قد يكون تصعداً من الأدنى إلى الأعلى، على سبيل الترقي في الفضل أو الشدة، وقد يكون بالعكس على سبيل التنزل، بدءاً بالأهم، وانتهاء بما هو دونه أهمية: وقد رجّح معظم المفسرين المعنى الثاني. أى البدء بالأعلى لأدلة عديدة كما ذكر الإمام الرازي(59).

من هذا الضرب قوله –عليه السلام- فيما أخرجه الترمذي حين سئل {أى الناس أشد بلاء فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل}(60)فبدأ بالأشرف وانتهى بالأقل شرفاً. ولعلك تلمس بعد المنزلة بين الأنبياء ومن سواهم من صالحي المؤمنين، حيث دل على ذلك بإدخال حرف التراخي بين الأنبياء وعامة المؤمنين، وهو دال على عظيم التفاوت بينهم، وأدخل حرف التعقيب للدلالة على تفاضل المؤمنين فيما بينهم، وهو تفاوت لا يرقي إلى درجة التفاوت بين الأنبياء والصالحين.

وعلى عكس ذلك جاء قوله –صلى الله عليه وسلم- {أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى}(61)حيث يتعاظم الأجر كلما ازداد البعد وطال المشي.

والتفاوت الرتبي لا يأتي –غالباً- إلا في عطف الصفات. والفاء الدالة على الرتبة بين الصفات لها خلابتها وسحرها، حين تجعل الصفة الواحدة المستمرة صفات متغايرة، متفاونة في الرتبة والشدة، للمبالغة في الوعد والوعيد، فمثلاً قوله تعالى: [ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّآلُوْنَ الْمُكَذِّبُوْنَo لأكِلُوْنَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّوْمٍo فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُوْنَo فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيْمِ فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الْهِيْمِ](62)فإن (الفاء) تنتقل

بالمشاهد من أمر عجيب إلى أمر آخر أعجب، ومن عذاب شديد إلى عذاب آخر أشد مبالغة في تهديد المكذبين فأنت ترقب الضالين يأكلون شرمأكل، وهم مع ذلك يقبلون عليه في نهم عجيب حتى تمتلئ بطونهم، فيقدمون على الشراب من ماء تناهى في الحرارة، يقطع أمعاءهم، ومع ذلك يواصلون الشرب لايرتوون أبداً.

فإذا عدت إلى حقيقة (الفاء) بدلالتها على الترتيب الزمني ضاعت المبالغة التي يومئ إليها الترتيب الرتبي، متدرجاً بالقاري من أمر عجيب إلى ما هو أعجب، وكأنه يقول: إن تعجب من أكلهم الزقوم فإن نهمهم في الأكل منه إلى امتلاء البطون أعجب، وإن غرابة شربهم من الحميم دون غرابة إفراطهم في الشرب منه. وقد صرّح الإمام الزمخشرى هذا الوجه قائلا "فإن قلت: كيف صح عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة ووصفان متفقتان فكان عطفاً للشيء على نفسه؟ قلت : ليستا بمتفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم أمر عجيب أيضاً فكانتا صفتين مختلفتين"[63].

المبحث الرابع:

عطف المفصل على المجمل (التفصيل بعد الإجمال)

لاشك أن التفصيل بعد الإجمال ضرب من البيان الرفيع، يوقظ قوى الإدراك عند المتلقي، ويبعث فضوله، ويحرك شوقه -حين يلقي إليه الخبر مجملا- إلى البيان والتفسير. لكن هناك أمراً يستدعي الوقوف عنده، وهو أن الشأن في البيان أن يتصل بالمبين اتصالا ذاتيا يستغني عن واصل لفظي، لذلك عده البيانيون من مواضع الفصل، ومنعوا عطفه بالواو لأنه عطف الشيء على نفسه، ومنع الزمخشري عطفه بالفاء أيضاً[64]وبعضهم يسمون هذه (الفاء) تفسيرية[65].

على الرغم أن بعض العلماء صرحوا أن عطف التفسير ليس من أساليب البلغاء[66]. ولكن التغاير الذي نراه مع دخول (الفاء) المرتبة هو التفاوت بين المتعاطفين في المنـزلة، وذلك في مواقف تتطلب الترقي في الإيضاح والبيان كالتشديد والاستعطاف والتهديد وغير ذلك من الأغراض التي تتدرج (الفاء) فيها من شديد إلى أشده أو عظيم إلى أعظم منه فمثلاً قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوْا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ][67]فعطف قتل النفس على التوبة، وليس قتل النفس شيئاً آخر غير المعطوف عليه. قال الطبري[68]: "ثم أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم، والإنابة إلى الله من ردتهم بالتوبة إليه، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به، وأخبرهم بأن توبتهم من الذنب الذي ركبوه، قتلهم أنفسهم"[69]في عبارة الطبري هذه دليل على أنه التوبة المأمورين بها هي القتل، وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، فجعلوه من عطف المفصل على المجمل. والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما السرفي إيراد هذا العطف؟ إذا تأملنا في تاريخ بني اسرائيل فنجد أن جرائمهم قد بلغت حداً من الفظاعة تجاوز كل تصور، شدد الله تعالى عليهم في نوع هذه التوبة، بما يتناسب مع عظم جناياتهم، فاحتاجت إلى البيان، وهو (فاقتلوا أنفسكم) ولما كان المعطوف نوعاً غريباً غير معهود في التوبة عطف بالفاء للإشارة إلى تفاوته عن المعطوف عليه، وأنه درجة من التوبة، لا يقدر عليها إلا من صحّ عزمه على تطهير نفسه، وعتقها من عذاب النار. فهو تفاوت مجازي بين العزم على الإقلاع من الذنوب واللجوء إلى الله، وبين قتل النفس في الشدة والدلالة على كمال التوبة، وهو أحد وجوه ذكرها صاحب الكشاف حين قال: "ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم"[70] وقد أيد ابن عاشور هذا الرأي وأضاف فيه قائلا، "وعندى أنه إذا كانت الجملة الثانية منزله منزلة البيان من الجملة الأولى، وكانت الأولى معطوفه بالفاء كان الأصل في الثانية أن تقطع عن العطف فإذا قرنت (الفاء) كما في هذه الآية كانت (الفاء) الثانية مؤكده للأولى، ولعل ذلك إنما يحسن

في كل جملتين تكون أولاهما فعلاً غير محسوس وتكون الثانية محسوساً مبين للفعل الأول فينزل منزلة حاصل عقبه فيقرن بالفاء؛ لأنه لا يحصل تمامه إلا بعد تقرير الفعل الأول في النفس"[71].

وكذا قوله تعالى: : [ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ][72]وقد جعل أبو السعود (الفاء) في (أحسن) تفسيرية[73]وهذا يوهم بأن الفاء لادور لها، إذ كان المفسِّر والمفسَّر شيئاً واحدا.

ولكن التدبر يرشدنا إلى أن سياق الآية يشير إشارة واضحة على أن الله لا يمتن على عباده بخلق الأرض، إنما بإبداعه في جعلها قراراً وذلك فوق الخلق نفسه ، وكذلك بجعل السماء بناء محكما لا فروج فيه، وليس بخلق السماء، وهو أمرأجل من خلقها، ثم كان إبداع الباري في تصوير الإنسان هو نهاية الكمال في الخلق، لذلك وقع مؤخرا على سبيل الترقي، بحسبانه أجمل مخلوقات الله صورة، ولما كان الحديث عن جمال الخلق لاعن الخلق جاء الفعل "صوركم" "لاخلقكم"، ثم جاء (فأحسن صوركم) انتهاءً إلى الغاية في إحكام الصنعة وإبداعها، فأدى العطف بالفاء دوره في إبراز نعمة الله تعالى بإحسان صورته وكان التصوير نعمة، وإبداعه على أحسن صورة نعمة أجل وأعظم، فهو ترتيب رتبى لا وجودي . والله أعلم.

وفي مجال الاستعطاف جاء قوله تعالى: [وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ][74]فما بعد (الفاء) تفصيل للنداء ، وتعقيبه بالفاء دلالة على أنه أبلغ في الاستعطاف، لما تضمنه من بسط الشكوى واستنجاز الله وعده بانجاء أهله والثناء عليه بما هو أهله من العلم والعدل، وكأن الله تعالى يقول: دعا نوح ربه فبالغ في دعائه ومع ذلك فلم يجب إلى مادعابه، ولذا رد صاحب كشف الكشاف قول الزمخشري لأنه جعل المراد من النداء إرادة النداء وقال "لو قيل إنه تفصيل للمجمل وهو تعقيبه لكان سديداً[75].

وفي مقام التعظيم جاء قوله تعالى: [فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ...][76] قال الزمخشري (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم[77]فإن (الفاء) دلت على عظم درجة المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله، وكأنهم فاقوا العاملين في درجتهم عند الله تعالى حتى صاروا جنسا مستقلا عنهم، لذا أطنب في أوصافهم بما يظهر فضلهم. ودلت (الفاء) على التفاوت في الفضل وكمال العمل في الهجرة والجهاد.

المبحث الخامس

عدول الفاء عن التعقيب وأسراره البلاغية

على الرغم من وضوح معنى التعقيب وكون (الفاء) أصلاً لهذا المعنى لم يطرد لعلماء التفسير واللغة، فلم يجدوا بدا من التوسع في معنى التعقيب، فقال هو في كل شئ بحسبه، ألاترى أنه يقال: تزوج فلان فولدله، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، وإن كانت متطاولة.

وتفاوتت الآراء في ما خالف ظاهره التعقيب، بين الاتساع في مفهوم المهلة، والقول بعدم لزوم التعقيب، ووقوع (الفاء) موقع (ثم).

وخير ما قيل في تفسير التعقيب والتراخي وربطهما بدواعي الأحوال ومقتضيات السياق ماقاله صاحب الفرائد "التعقيب والتراخي ربما يكون باعتبار قصر الزمان الفاصل وطوله في نفسه، ومن غير لحاظ الشيئين المفصولين، وقد يلا حظ في ذلك حالهما، وحينئذ ربما يستقصر الزمان الطويل بين شيئين فيؤتى بـ(الفاء) لكون العادة مقتضية لمثله أو أزيد منه، ويستطال القصر بين آخرين، فيؤتي

بـ(ثم) لاقتضاء العادة أقل منه، يقال: فلان تزوج فولدله، والفصل بينهما بشهور، وأكل ثم شرب، والفصل بساعات، ثم إنه يستقصر الزمان بين شيئين تارة لاعتبار مناسب، فيؤتى بـ(الفاء)، ويستطال ذلك الزمان بعينه بين ذينك الشيئين أخرى، لاعتبار آخر، فيؤتى بـ(ثم)، وربما يكون الإتيان بـ(الفاء) باعتبار قلة الفاصل من الزمان بينهما، وبـ(ثم) باعتبار كثرة التفاوت في الدرجة أو بـ(الفاء) لقلة التفاوت، وبـ(ثم) لكثرة الفاصل"[78].

إذا تأملنا في العبارة المذكورة فنجد أن صاحبها وفّق في جعل الزمان إحساساً، وتقدير لحظاته بنبضات القلب وخفقات الشعور، لابحركات العقارب وامتداد الظل وانحساره، فما يستقصر في ساعات الأنس والسعادة، يستطال ما هو دونه، حين تفيض الهموم على الأنفاس وتعتصر النفوس آلام الوحشة والاغتراب.

من المعلوم أن الكلام البليغ هو الذى يصطبغ بأحوال النفوس، ويعكس صفاءها وكدرها ويجسّد حركتها في جزرها ومدّها، فلا غروَ أن تنعكس على هذه الحروف ظلال الانقباض والإنبساط في النفس، وأن ينقل لنا حرفا التعقيب والمهلة إحساس المتكلم بالزمن قبضا وبسطاً، وحينئذ فلا عجب أن يختلف تقدير زمن واحد بعقارب الساعة فيستطال عند متكلم، ويستقصر عند آخر ما دامت الحروف تعكس الإحساس، لاترصد عقارب الساعة.

وفيمايلى نحاول بعون الله تعالى أن نسلط الأضواء على الآيات التي ترى لأول وهلة خلاف الأصل، متمسكين أصول صاحب الفرائد.

فمثلاً قوله تعالى: [**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّاكَانَا فِيْهِ**][79].

استخدام (الفاء) هنا في [فأزلهما] خلاف مقتضى الظاهر لأن بين نهي الله لآدم وزوجه عن قرب الشجرة وبين الإزلال والإخراج زمن طويل، أدى إلى نسيان ما أوصاه الله به، على ما جاء في قوله تعالى:[**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**][80]لكن هذا الزمن الطويل بالنسبة إلى ما كان يتمناه من طول الإقامة في الجنة، وإلى إحساسه بالسعادة والنعيم فيها جدّ قصير، وأيام السعادة -مهما طالت- تستقصر، هذا إلى جانب ما يستدعيه موقف العتاب واللوم من إظهار آدم في صورة من أسرع إلى الاستجابة لإغواء الشيطان ولم يطل به زمن التردد والصد عما دعاه إليه، وذلك أكثر إيلاماً وإيجاعاً لمن وجه إليه العتاب. وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عاشور بقوله: "(الفاء) عاطفة على قوله: [ولا تقربا] وحقها إفادة التعقيب، فيكون التعقيب عرفيا؛ لأن وقوع الإزلال كان بعد مضي مدة، هي بالنسبة للمدة المرادة من سكنى الجنة كالأمد القليل"[81]لقد طوت (الفاء) هذا الزمن الطويل، وأخفته بدلالتها على التعقيب، لتحقق هذا الغرض.

وكذا قوله تعالى: [**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ سَرِّحُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ وَلاَ تُمْسِكُوْهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا**][82]ولا يخفى على المتأمل في أن للفاء في قوله: [فبلغن أجلهن]من السحر والخلابة مالا تجده في غير النظم المعجز. ذلك أن الآية "خطاب للرجال، لا يختص بحكمه إلا الأزواج، وذلك نهي للرجل أن يطوّل العدّة على المرأة مضارة منه لها بأن ترتجع قرب انقضائها، ثم يطلق بعد ذلك[83].

وكأن بهذه (الفاء) تفوّت على الزوج المعتدي فرصة التلاعب بالزمن، ومعاطلة زوجه إضراراً بها، فتسترق منه زمن العدّة كله، قبل أن يفيق ليكرر عدوانه. وقد تعاونت هذا (الفاء) مع التجوز ببلوغ الأجل عن قربه، لأن "معنى (بلغن أجلهن) قاربن؛ لأن المعنى يضطر إلى ذلك؛ لأنه بعد بلوغ الأجل لاخيار في الإمساك"[84].

ثم إن فيها شائبة تحذير من الاستهانة بالزمن، وتضييع الفرصة لمن أراد الاستمساك بأهله، ووصل عرى المودة، حتى لا يفوت الوقت على من أراد المراجعة، ويصبح محالاً ما كان ممكناً، بعد ما تبيّن الزوجة وتتعذر المراجعة.

ولنتأمل قوله تعالى: [**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**][85].

نجد أن الزمن يتلاشى في مقام خرق العادة بين أصابع القدرة الإلـهية، ولاشك أن زمنا-مهما قيل في قصره- قد تخلل بين حمل مريم ومخاضها، وأن هذا الزمن فيه من المهلة ما يخالف مواقع الفاء، ولكن لما كانت العادة أن يستغرق الحمل شهوراً عديدة، فأي اختصار في الزمن يتحقق معه خرق العادة هو بمنزلة انعدام الزمن، ولا ينهض بالتعبير عنه، والمبالغة في تصوير قصره غير هذه الفاء.

وكذا قوله تعالى: [**كَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوْا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوْا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوْا**][86].

على الرغم من التفاوت الزمني بين المكذبين السابقين والموجودين للإيذان إلى التواصل الفكري كأن الأمة اللاحقة والموجودة تحتذي النعل بالنعل فتطوي (الفاء) صفحات الزمن لإبراز قوة التشابه بينهم في السلوك وشدة المحاكات في التكوين الفكري، وكأنهم يعيشون في زمن واحد ويردد أصداءهم فضاء واحد.

الخلاصة أن مفهوم التعقيب يختلف باختلاف المقام والمقتضيات، فلكل موقع ومقام سياق معين. وليس معنى التعقيب هو التقارب والتلاحق بين الزمنين فحسب، بل التعقيب يتعلق بنبضات القلوب وخفقات الشعور على حد تعبير صاحب الفرائد، وهذه النبضات والخفقات تختلف باختلاف الأحاسيس النفسية والعواطف القلبية، فتقصر هذه الأحاسيس والعواطف في حين أن الزمان يكون طويلا، وتطول في حين أن الوقت يكون جد قصير. ولا يمكن تعيين هذه الأسرار والمعاني الكامنه إلا بالسياق، فتنظر قوله تعالى:[**هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ الْمُكْرَمِيْنَ. إِذْ دَخَلُوْا عَلَيْهِ فَقَالُوْا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُوْنَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِيْنٍ فَقَرَّبَه إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُوْنَ**][87] و(الفاء) في قوله (فجاء بعجل سمين) تبرز الحركة السريعة والتوافر الجاد على العمل، دون فتور وانشغال عنه، فينجزه صاحبه في وقت من شأنه ألا ينجز فيه، فتقع (الفاء) دالة على المبالغة في سرعة إتمامه وسماحة نفس إبراهيم وطواعيتها لبذل الخير، وجدّه في إكرامه لضيفه، فينهب الزمن نهبا، ليقدم لضيفه أعظم ما عنده، دون ريث أو انتظار، حتى كأنهم لم يفتقدوه فيما بين ترحيبه بهم وتقديم العجل لهم. إنها نفس فيّاضة بالخير تفجّر طاقات الجوارح لتحقيق ما أرادت فيما لا يستطيع النفوس الشحّ إنجازه حتى لو أرادت.

وقد تأتي (الفاء) لتدل على الاستمرار والتتابع كما أشار إليه كل من الفرّاء [88]والقرطبي[89]، والهروي[90]. ونجد ظلال هذا المعنى في قوله تعالى: [**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّيْنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ... فَهَدَى اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا**][91] حيث عطف (هدى الذين آمنوا) على (اختلفوا) وبينهما أزمان طويلة فأشارت (الفاء) بقدرتها على استمرار الزمن وتتابعه إلى أن هذا الخلاف قد طال أمده، واستمر بين أهل الكتاب حتى جاء الإسلام، وفيه إشارة إلى سرعة هدايته للمؤمنين بعقب الاختلاف أي أنه تعقيب بحسب ما يناسب سرعته مثله وإلا فهدي المسلمين وقع أزمان مضت[92].

مثل هذه (الفاء) التي تحرّك زمان الماضي وتمطله إلى زمن المعطوف نراها في النظم الحكيم

تحتكر المواطن التي يرتب الله فيها الإهلاك على تكذيب الأمم لأنبيائها تركيزاً على استمرار التكذيب والتمادي في الكفر، بحيث لاتردهم عنه النذر، ولا تغني الآيات حتى يحل بهم العذاب، وجميعها وقع فيها التكذيب والكفر بصيغة الماضي الذي مددت (الفاء) زمنه ووصلته بنزول العذاب، فمثلاً قوله تعالى: [كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ...][93].

المبحث السادس:

فاء الفصيحة وأسرارها البلاغية

قد حظيت فاء الفصحية أو الفاء التي تطوي الأحداث عناية بالغة في الدرس البلاغي عند الحديث عن حذف الجملة في باب الإيجاز[94] وهي (الفاء) التي تكون جواباً مقدر مع الأداة سماها الزمخشري فاء الفصيحة[95]وسميت بالفصيحة؛

(i) لإفصاحها عن الشرط والسبب. أو
(ii) لفصاحة الكلام الذي دخلت هي فيه. أو
(iii) لظهور المعنى بسبب دخولها. أو
(iv) وصف لها بوصف صاحبها. أو
(v) لكونها مفيدة معنى بديعاً. أو
(vi) أو واقعة موقعاً حسنا[96]،

وهي (الفاء) التي تفصح من المعطوف عليه محذوف والفاء التي تدل على شرط مقدر[97].

إذا تأملنا في الآيات التي وردت فيها "فاء الفصيحة" فنجد أن الأسرار قد تعددت حسب السياق والمقام، وليست الفصاحة فيها راجعة إلى مجرد بنائها عن محذوف وإنما فصاحتها تكمن فيما وراء الحذف من إشارات لا يفطن إليها غير البلغاء، ولا يضعها في كلامه إلا متحدث بليغ. لعل أهم ماتمتاز به (الفاء) من بين حروف العطف هو كثرة الحذف معها، كذلك كثرة ورود (الفاء) في القصص القرآنية حين تتكرر القصة مبنية على الإيجاز بطي بعض أحداثها، اعتماداً على ذكرها في موضع آخر، ورعياً لمناسبة خاصة، تقتضي إبراز بعض الأحداث وحذف بعضها الآخر.

ومن أبرز مواقع حذف المعطوف عليه وأغناها بوجوه البيان ما يكون المحذوف فيه جواباً لأمر لايُراد أمره. على سبيل المثال نأخذ بعض الآيات في هذا الصدد لتكون دليلاً على البقية.

فلنتأمل في قوله تعالى: [وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ][98]. فمن المعلوم أن انفجار الحجر مرتب في الظاهر على الضرب بالعصا لا على الأمر بالضرب؛ إذلو كان مرتباً على الأمر لوجهه الله تعالى إلى الحجر مباشرة كما قال تعالى: [يَا نَارُكُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ][99]لكن الله تعالى أراد بتوجيه الأمر بالضرب إلى موسى أن يكون أثر الضرب بالعصا معجزة ظاهرةً له يجريها على يديه مع اليقين بأن الضرب بالعصا سبب ظاهر وليس مؤثراً حقيقياً.

فلما أراد الله تعالى حكاية معجزة موسى –عليه السلام- هذه قصها على الوجه الذي يحقق صورة المعجزة، وحقيقة أمر التكوين، فكان قوله: [اضرب بعصاك] دليلا على ارتباط الأمر بالموثر الظاهر وهو الضرب، وفي حذف الضرب الواقع من موسى-عليه السلام- إشعار بأن انفجار الحجر كان في حقيقته مطاوعة لأمر الله تعالى، لا تأثراً بضرب العصا، فليست في العصا قدرة ذاتية تتميز بها عن غيرها من العصيّ، وإنما هي قارنت قدرة الله تعالى المؤثرة لتكون سبباً ظاهراً تربط فيه الأعين

والعقول بين الأسباب ومسبباتها. ففي حذف ضرب موسى حثّ للعقول على الربط بين الأثر المؤثر الحقيقي، حتى يدفع الوهم بأنه في عصا موسى يقبع الإعجاز. وهناك أسرار أخرى في هذا الحذف مثل: الإيحاء إلى سرعة تلبية موسى لأمر ربه، حتى لكأن الفعل وقع منه لحظة سماع الأمر من ربه دون تلعثم أو تردد، وفيه معاني الطاعة والإنقياد الكامل[100].

وكذا قوله تعالى: [**أَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ**][101]فقد رتبت (الفاء) اتضاح حقيقة قدرة الله تعالى أمام العزير على الأمر بالنظر إلى المشاهدات وما يجريه الله تعالى عليها من آثار القدرة دون أن يترك له مهلة من الزمن يعرض فيها مشاهدة على فكره، قبل إقراره بقدرة الله... تجسيدا لجلال الحدث، وكونه ليس بحاجة إلى فكر في الشهادة على قدرة محدثه.

في الحقيقة أن خوارق العادات حين تقع في أحداث الكون، إنما تقع بسرعة تعجز فيها ألفاظ الحكاية عن مواكبة المحكي، وتعوق حركته عن ملاحظة الأحداث؛ لذلك يقابل الله في حكايتها إعجاز الحدث بإعجاز النظم حين يحكيه بهذه (الفاء) التي تتخفف من كل مايبطئ بها عن مجاراة المحكي، فكان الحذف إعجاز يعانق إعجاز الحدث.

وكذا قوله تعالى: [**قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِيْنِيْ بِعَرْشِهَا ... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ...**][102] فإن (الفاء) في قوله (فلماراه) في حذفها للأحداث ما بين قول العالم بالكتاب، ورؤية سليمان للعرش مستقرا عنده تجاوبت في القص مع سرعة وقوع الحدث؛ لأن القرآن الكريم يمسك بمفاتيح عقول المخاطبين ونفوسهم، فيضبط إيقاعها بما يتناسب مع حركة الأحداث، فلما كان ارتداد الطرف، وهو حركة طبيعية تلقائية، لا يستغرق من الزمن ما يسمح بحكاية دعاء من عنده علم الكتاب، والإخبار بإتيانه بالعرش، وثب النظم من عرضه إحضاره إلى رؤيته مستقرا عند سليمان، ليتصور القارئ مدى السرعة التي لم تستغرق من الزمن شيئاً، وركز على أثر هذه النعمة في نفس سليمان، وكيف قابلها وانفعل بها، وهوما أطال النظم الوقوف عنده.

وكذا قوله تعالى: [**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوْا اقْتُلُوْهُ أَوْحَرِّقُوْهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ**][103]فقد طوت (الفاء) حدثا رهيباً وجرما مروعاً؛ لأن الإنجاء أعقب القذف في النار لا قولهم، وفي الانتقال من حكاية قولهم إلى الإنجاء مباشرة إشارة إلى أن الله تعالى كان أسرع إلى إنقاذ نبيه منهم إلى إلقائه في النار، وأن خليل الله وقع في يد ربه قبل أن يقع في أيديهم ليقذفوه فيها، فنشرت (الفاء) بهذا الطي غلالة من قدرة الله تعالى، ورعايته نبيه، غطت على فعلهم، لتظهر يد الله القوية الغالبة وتتوارى أيدى القوم الآثمة[104].

ومن بديع مواقع هذه (الفاء) قوله تعالى: [**يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ...**][105] فقد أشارت (الفاء) إلى فعل محذوف رتب عليه القضاء، وتقديره: فأفطر فعدة؛ لأنه لا يجب قضاء الصوم إلا بالإفطار. وفي هذا الحذف تنبيه على أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه؛ لأن الشأن فيه أن ينصاع لرخص الرحمن ويقبل هديته، وهذا ما أكده بعد ذلك بقوله: [**يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**][106].

ومثله قوله تعالى: [**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْبِهِ أَذًى مِّنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ...**][107] حيث أشارت (الفاء) في قوله (ففدية) إلى محذوف تقديره: فحلق؛ إذ لا فدية إذا لم يحلق، والسرفي الحذف هو الترغيب في التزام رخصة الله تعالى بالحلق وافتدائه بما عينه الله تعالى من الصيام أو الإطعام أو الذبح ذلك أن الله لم يفترض العبادات على عبادة ليعذبهم بها أو ليبدو العابد في صورة رثة ترعى في رأسه الهوام.

وقد جاء في القرآن مايبدو خروجاً عن هذا الإلف في دلالة الحذف معها على المسارعة

والامتثال كقوله تعالى: [**قَالَ إِنَّهُ يَقُوْلُ إِنَّهَا ... قَالُوْا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ**][108]. وقد صرّح الكشاف على أن الحذف هنا للدلالة على المسارعة والامتثال في فعل ما أمر به المخاطب[109]. لكن إمعان النظر في الأسلوب والجدل الطويل يرشدنا أن المأمورين كانوا متثاقلين في الاستجابة فلايصح هذا المعنى، فحاول الإمام الطيبي إجابة السؤال قائلاً "المعنى سارعوا في امتثال أمر الله عند ظهور الحق وتبين الحال مع أن بشريتهم عند تبين الحال مانعة عن الامتثال لئلا يفضحوا[110]. ولكن عند التأمل والتأني تتضح الحقيقة أن الفاء لا تدل على المسارعة والامتثال وإنما هي أشبه بالفاء الداخلة على فعل المطاوعة من مثل: كسرّته فانكسر، وذلك أنهم بعد أن حوصروا بالإجابات التي حددت البقرة تحديد كاملاً، حتى عرفوا البقرة وصاحبها، لم يعد أمامهم مفر من الانصياع، ففي (الفاء) رائحة القسر والإلجاء، وهو صريح عبارة الطبري فيما رواه عن ابن زيد قال: اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها..[111].

فالفاء أشعرت بالإذعان والاضطرار، والمسارعة هنا مسارعة الاستسلام والقهر، فشتان بين مسارعة الاستسلام ومسارعة الامتثال؛ لأن الأول نتيجة افتعال الحدث والثاني نتيجة انفعال الحدث.

المبحث السابع:

الفاء بين الزيادة والفائدة

بنى النحاة القول بزيادة الفاء على أنها أداة ربط، فإذا وقعت بين أمرين فيهما من روابط الإعراب ما يغني عن الربط بالفاء حكموا بزيادتها، لأنها لم تفد من الربط ما هي حقيقة به، كما إذا وقعت بين المبتدأ وخبره، أو بين المفعول وفعله، وقد قسم المرادي الفاء الزائدة إلى قسمين: الأول الفاء الداخلة على خبرا المبتدأ إذا تضمن معنى الشرط.. والثاني: التي دخولها في الكلام كخروجها..."[112].

بناءً على هذا التقسيم للفاء الزائدة أصبح لدينا زيادة في اللفظ تتبعها زيادة في المعنى، وهو ضرب من الإطناب لايخل بفصاحة الكلام.

على الرغم من إفادة الفاء المعنى إلا أن النحاة أصروا على زيادتها. ولكن عند التأمل والتعمق في آراء النحاة يتضح أن الزيادة ترجع إلى علاقة الكلمة بكلمة أخرى. أو أن الجملة أوالكلام يكتمل بدون هذا الحرف الزائد إعرابياً. وقد صرح الطبري قائلا "وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام..."[113].

بما أن القرآن الكريم كتاب معجز في جميع مفرداته وكلماته وحركاته وسكونه يجب علينا أن نتأمل في بعض الآيات التي جعل النجاة الفاء فيها زائدة، ليكون هذا ميزانا لبقية الآيات. منها: [**هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ لَحُسْنُ مَآب....... هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّمَآبُ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ. هَذَا فَلْيَذُوْقُوْهُ حَمِيْمٌ وَغَسَّاقٌ**][114] وهناك ثلاثة آراء حول إعراب "هذا" أحدها أن يكون مبتدأ خبر فليذوقوه. والثاني: أن يكون خبره "حميم" وجملة "فليذوقوه" معرضة بينهما والثالث: أن يكون "هذا" خبر لمبتدأ محذوف[115].

والقول بزيادة ينطبق إذا أخذنا القول الأول، أما الوجهان الأخيران تظهر معهما بلاغة النظم لما في الجزاء من التأكيد، وإيجاز الحذف. عند التأمل والتدبر يتضح أن الفاء أدت دورا بارزاً في دلالة معني التعقيب فيها والإيحاء بسرعة إلقائهم في العذاب وعدم إمهالهم.

قد تشير "الفاء" إلى الأسباب التي تدفع المخاطب إلى المبادرة بتحصيل ما أمر به، وتستحثه عليه إذا كان المقام مقام الترغيب. فمثلاً قوله تعالى:[**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ](116)لما يرى المؤمن سعادته السرمدية وشقاوة قرينه الأبدية ويقارن هذه بتلك يهيب بالعاملين أن يخلصوا لهذا الفوز عملهم، فهو الجدير وحده بالتسابق إليه، ولذلك قدم المعمول "لمثل هذا" لإفادة الحصر، مع ما في الإشارة إليه من زيادة الترغيب فيه، وما في الفاء من معني الجزاء وإفصاحها عن شرط مقدر من تأكيد الاختصاص والمعنى: إن كانوا عاملين فليكن لمثل هذا عملهم.

ومثله قوله تعالى:[**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**](117).

قدمت الأوصاف الجليلة التي وصف الله بها كتابه المجيد لتدل على أنه جامع لمنافع الدين والدنيا، مزيل الأدواء التي تصاب بها الأنفس والصدور، هاد لطريق الحق واليقين، هذه الأوصاف العظيمة تستحضرها الفاء الأولى بالإشارة إليها وتربطها بما ترتب عليها، وهو ما صرحه أبو البقا بقوله: "الفاء الأولى مرتبطة بما قبلها"(118)أما الثانية فهي المفصحة عن شرط محذوف تقديره فإن فرحوا بشيء فليفرحوا بذلك، وتقدير الشرط بهذا العموم يوحي بأنه ليس هناك شيء يستحق المبادرة باغتنامه والفرح له إلا هذا القرآن، وهو تأكيد الحصر المدلول بتقديم الجار والمجرور "بذلك"، فاجتمع في هذا الأسلوب من عوامل التأكيد والحث على استقبال القرآن استقبالاً يليق بفيوض الرحمة.

ومثله قوله تعالى: [**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**](119)وقوله تعالى: [**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**](120).

في الآية الأولى أفادت توكيد على توكيد؛ لأن تقدير الشرط والجزاء بالفاء ضرب من التوكيد، ويكون التقدير: إن كان تنافس فليتنافس المتنافسون في هذه لا في سواها. أما في آية الصوم "الفاء" في فليصمه تلمح إلى أن الأمر بالصيام سبب عماتميز به هذا الشهر الكريم من نزول القرآن الكريم فيه، ليكون هدى للناس فلهذا وجب شكر الله تعالى بصومه(121).

وقد قيل بزيادة الفاء في قوله تعالى: [**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**](122)

ولو حذفت الفاء الثلاث لزال جمال الموسيقى اللفظي وتسرب معني الاستنهاض والمبادرة والإصرار على تجاوز كل العقبات التي تعترض طريق تبليغ الدعوة والنفاذ إلى الأسماع والقلوب، ولقد أصاب الزمخشري في جعل الفاء فاء الجزاء في قوله تعالى: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل: ومهما كان فلا تدع تكبيره"(123)

ومثله قوله تعالى: [**وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**](124)حيث دخلت الفاء على الأمر بالتهجد أو التسبيح حين يكون الليل زمن وقوعه، وكأن الليل سبب يرتبط بها، وذلك لما في عبادة الليل من المشقة والكلفة، وثقلها على النفس، إلا من وفق الله لطاعته، وهو صريح قوله تعالى (إن ناشته الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا)(125).

ولكن تغير القرآن الكريم إلى التقديم ودخول الفاء في تسبيح الليل بعد تركهما في تسبيح النهار من قوله تعالى: (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ... ومن الليل فسبحه وادبا والسجود)(126)

فلم يقل وسبحه بالليل كما قال: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب للتأكيد على فضل التسبيح والعبادة ليلا.

الخلاصة:

بعد هذه الجولة الممتعة في الفاء العاطفة وإيحاءاتها البلاغية في ضوء الأساليب القرآنية يمكن لنا تقديم ملحض البحث بصورة تالية:

1- إن الفاء تأتي لتفصيل المسند مع الاختصار، وهي تمتاز من بقية حروف العطف في دلالتها على التعقيب مع الوصل.

2- وقد تعدل الفاء عن الأصل وتأتي لأغراض ومعاني بلاغية أخري وبهذه المعاني والأسرار تتنوع بتنوع المقام والسياق.

3- تفيد الفاء التفاوت الرتبي بحيث يستعار فيها الترتيب الزماني للدلالة على التدرج في الفضل والشرف، وهذا الترتيب المجازي قد يكون تصعداً من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الترقي في الفضل والشدة، وقد يكون بالعكس على سبيل التنزل بدءاً بالأهم وانتهاء بما هودونه أهمية.

4- من أهم معاني الفاء ودلالالتها هو التعقيب، وأن التعقيب يختلف باختلاف المقام والمقتضيات فلكل موقع ومقام سياق معين وليس معنى التعقيب هو التقارب والتلاحق بين الزمنين فحسب بل التعقيب يتعلق بنبضات القلوب وخفقات الشعور، وهذه النبضات والخفقات تختلف باختلاف الأحاسيس النفسية والعواطف القلبية، فتقتصر هذه الأحاسيس والعواطف في حين أن الزمان يكون طويلا، وتطول في حين أن الوقت جد قصير. ولا يمكن تعيين هذه الأسرار والمعاني الكامنة إلا بالسياق.

5- وقد تأتي الفاء من المعطوف عليه محذوف والفاء التي تدل على شرط مقدر. والأسرار تعددت حسب السياق والمقام، وليست الفصاحة فيها راجعة إلى مجرد بنائها عن محذوف وإنما فصاحتها تكمن فيها وراء الحذف من إشارات بليغة ولطائف كامنة.

6- بنى النحاة القول بزياده الفاء على أنها أداه ربط، فإذا وقعت بين أمرين فيهما من روابط الإعراب ما يغني عن الربط بالفاء حكموا بزيادتها، لأنها لم تفد من الربط ماهي حقيقة به، ولكن إذا تعمقنا في المواضع التي جاءت الفاء فيها زائدة فنجد أن لهذه الفاء ات دلالات ثرية وأسرار عظيمة وإيحاءات بلاغية كامنة.

7- وقد بذل أسلافنا قصارى جهودهم تجاه استكشاف هذه الدلالات واستنطاق تلك الإيحاءات بإشاراتهم الذكية وتلميحاتهم الفطنة. يحتاج الباحث المعاصر الصبر الدؤوب و الذوق البلاغي والحس الذكي لا ستخراج هذه الآلي اللطيفة الكامنة في الأسلوب القرآني وفي كتب التفاسير وعلوم القرآن بأسلوب عصري جذاب وجميل.

أخيرا نتضرع إلى الله عزوجل أن يرزقنا فهم كتابه والتذوق به ويجعل جميع أعمالنا خالصاً لوجهه ويتقبلها بقبول حسن ويبارك فيها فإنه سميع مجيب.

هوامش

1) يراجع الكتاب. أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: محمد عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م) جـ:4، ص: 217
2) أبو سعيد السيرافي (ت:368هـ)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد على الرّيح هاشم (مكتبة الكليات الأزهرية ودارالفكر للطباعة 1394هـ/1974م) جـ:1، ص:100.مواهب الفتاح للمغربي ضمن شروح التلخيص ص:382،ج:1.
3) القصص:15.
4) الواقعة:52-53.
5) ينظر مغني اللبيب، جـ:1، ص:173.
6) البقرة:36.
7) النساء:152.
8) شرح الكافية جـ:2، ص: 266.
9) البقرة: 29.
10) أبو السعود قاضي محمد بن محمد المصطفى العمادي (ت:982هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير أبي السعود (دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ط:2، 1990م) جـ:1، ص:106.
11) البقرة: 31.
12) وينظر كذلك البقرة: 34، 50، 59، 60، 72، 124، 231ن 245، 256، 282، 284 وغيرها الآيات.
13) الحج:63.
14) المؤمنون:14.
15) البقرة:37.
16) البقرة:10.
17) راجع ابن عاشور محمد طاهر (ت:1393هـ-1973م) أبا السعود جـ:1، ص: 59.
18) راجع التحرير والتنوير (مؤسسة التاريخ، بيروت ، لبنان ، ط:1، 2002هـ) جـ:1، ص: 277.
19) البقرة: 16.
20) أبو السعود جـ:1، ص: 68.
21) يراجع التحرير والتنوير جـ:1، ص: 295.
22) البقرة: 34، وكذا البقرة:59.
23) يراجع أبو السعود جـ:1، ص: 117، وحاشية الشهاب على البيضاوي جـ:2، ص: 130، والتحرير والتنوير جـ:1، ص: 405 وروح المعاني جـ:1، ص: 229.
24) البقرة: 59.
25) يراجع أبو السعود جـ:1، ص: 422.
26) ينظر على سبيل المثال الآيات التالية 59، 60، 61، 62، 74، 94، 123، 164، 178، 191، 229 من سورة البقرة.
27) البقرة: 54.
28) التحرير والتنوير جـ:1، ص: 487، وكذلك ينظر في سورة البقرة الآيات التالية 34، 61، 88، 144، 171، 198، 217، 231 وغيرها من الآيات.
29) الأعراف:4.
30) يراجع المالقي، الإمام أحمد بن عبد النور (ت:17) (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط:1، 1979م) رصف المباني ص: 440.
31) يراجع التفصيل في الجنى الداني، ص: 121، وبدر الدين بن ناظم، شرح ألفية بن فالك (المطبع [بدون] بيروت 1312هـ) ، ص: 205.
32) المالقي، رصف المباني، ص: 413.

33) يراجع التفصيل الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط (مؤسسة دارالكتب، جامعة موصل 1971م) المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم (ت:749هـ) وبدر الدين ابن ناظم، شرح ألفية بن مالك(بيروت، 1312هـ) ص:205.
34) أبو زكريا الفرّاء، معانى القرآن، جـ:1، ص: 371.
35) يراجع: ابن عطية أبو عبد الحق بن غالب الغرناطي (ت:541هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، بدأ طبع الجزء الأول 1395هـ وانتهى الجزء الأخير 1411هـ) جـ:7، ص:8.
36) النحل: 98.
37) يراجع: تفاصيل ضعف هذه الأوجه في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، جـ:4، ص: 149.
38) الإسراء: 16.
39) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السهيلي نتائج الفكر في النحو، تحقيق د/ محمد البنا (دارالرياض للنشروالتوزيع،[بدون]) ص:250.
40) البقرة: 117.
41) ابن جرير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بتفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر (دارالمعارف، ط:2، بدون التاريخ(بدون)) ج:2، ص: 549.
42) يراجع: (أ) الكشاف جـ:1، ص: 307. (ب) التحرير والتنوير، جـ:1، ص:670.
43) يراجع محمد أمين الخضري، الدكتور، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء وثم" (مكتبة وهبة، القاهرة، ط:1، 141هـ=1993م) ص:19.
44) الذاريات: 26.
45) الجونفوري، الفرائد في شرح الفوائد (المطبعة المجيدية، 1331هـ) ص:24.
46) النجم:5-9.
47) معاني القرآن جـ:3، ص: 95.
48) يراجع ابن منظور ، محمد جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ) لسان العرب (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط:1990م)مادة "دلا".
49) يراجـع: أيـوب بـن موسـى الكـوفي (ت:1094هــ)الكليـات(مؤسسـة الرسـالة؛ بيـروت، ط:1، التاريخ(بدون)) جـ:4، ص: 7.
50) الكهف: 79.
51) أبو السعود جـ:5، ص: 238.
52) هو شاعر مخضرم ، ولد في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام وتوفي 75هـ. ينظر عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص جـ:1، ص: 283.
53) أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون (مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط:2، التاريخ [بدون]) جـ:1، ص: 460.
54) يراجع الأصفهاني العلامة الحسين بن محمد المفضل(ت:502هـ) ، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: عدنان داودي (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1961م) ص: 391.
55) يراجع لسان العرب مادة "دلا".
56) البقرة: 26.
57) تفسير الرازي جـ:3، ص: 148، والكشاف جـ:1، ص:265، وروح المعاني جـ:1، ص:207.
58) التحرير والتنوير جـ:1، ص: 363.
59) ينظر تفسير الرازي، جـ:2، ص: 148.
60) أخرجه البخاري في كتاب المرضى والترمذي كتاب الزهد ص:57 وابن ماجه في كتاب الفتن.
61) أخرجه البخاري في كتاب الآذان.
62) الواقعة : 51-55.
63) الكشاف جـ:4، ص: 56.
64) ينظر التفصيل في الكشاف جـ:4، ص: 228.
65) راجع الكليات لأبي البقاء: جـ:5، ص: 251.

66) ينظر الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالية. مراجعة د/عبد القادر حسين (مكتبة الآداب ومطبعتها، الطبعة الأولى 1991) ص:106.
67) البقرة: 54.
68) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت:310هـ) مورّخ مفسر. وقد كتب مؤلفات عديدة، ومن أشهرها أخبار الرسل والملوك الذي يعرف بـ"تاريخ الطبري"، و"جامع البيان في تفسير القرآن" ويعرف بتفسير الطبري. ينظر ابن الجزري محمد بن على (ت: 833هـ) غاية النهاية في طبقات القراء (درالكتب العلمية، بيروت، ط:3، 1972م) جـ:2، ص:106.
69) تفسير الطبري جـ:2، ص: 72.
70) الكشاف جـ:1، ص: 281، وينظر تفسير الرازي جـ:3، ص: 80.
71) التحرير والتنوير جـ:1، ص: 488.
72) غافر:64.
73) أبو السعود، ص: 282/7.
74) هود:45.
75) سراج الدين عمر الكناني الفارسي، كشف الكشاف، تحقيق: محمد محمود عبد الله السلمان، مخطوط بكلية اللغة العربية، القاهرة، نقلاً عن أسرار حروف العطف ص: 46.
76) آل عمران: 195.
77) الكشاف: جـ:1، ص: 290.
78) الفرائد في شرح الفوائد، ص:24.
79) البقرة:35-36.
80) طـه:115.
81) التحرير والتنوير جـ:1، ص: 433.
82) البقرة: 231.
83) ابن عطيه الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جـ:2، ص: 205.
84) المرجع السابق جـ:2، ص: 205.
85) مريم: 22-23.
86) التوبة: 69.
87) الذاريات: 24-27.
88) يراجع معاني القرآن، جـ:1، ص:22.
89) ينظر تفسير القرطبي جـ:1، ص: 208.
90) الهروي، علي بن محمد (ت:415هـ)، الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 1403هـ-1983م) ص: 244.
91) البقرة: 213.
92) يراجع التحرير والتنوير جـ:2، ص: 211.
93) الأنفال:54 وينظر كذلك الشعراء 139، والنحل: 113، الشعراء: 139و 189 والأعراف 64، ويونس: 73، والمؤمنون: 44، والعنكبوت:37.
94) ينظر التفصيل في: (ا) مفتاح العلوم للسكاكي ص: 156.(ب) والسيد شريف، المصباح في شرح المفتاح، تحقيق: فريد النكلاوي، الدكتور مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة جـ:2، ص:461.سعد الدين التفتازاني المطول، ص: 289.(د)حاشية السعد على الكشاف ج:1، ص: 468.(هـ) كليات لأبي البقاء جـ:3، ص:325.(و)البرهان للزركشي جـ:3، ص: 502..
95) الكشاف جـ:1، ص: 71.
96) ينظر في: (ا) عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ص: 245.
(ب)وحاشية الشهاب على البيضاوي جـ:2، ص: 166.
(د)من أسرار حروف العطف في القرآن الكريم ص:83.
(هـ) والتحرير والتنوير جـ:1، ص: 502.
97) ينظر التفصيل في الكشاف، جـ:1، ص: 284.

98) البقرة: 60.
99) الأنبياء: 69.
100) يراجع: (أ) حاشية الشهاب على البيضاوي جـ:2، ص: 166.
(ب) المصباح في شرح المفتاح جـ:2، ص:462.
ونجد نفس الصيغة باختلاف يسير في قوله تعالى: [فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِ](الشعراء:63).
101) البقرة: 259.
102) النمل:38.
103) العنكبوت:24.
104) من أسرار حروف العطف في القرآن، ص: 83.
105) البقرة: 183.
106) البقرة:183.
107) البقرة: 196.
108) البقرة: 71.
109) يراجع الكشاف جـ:1، ص: 288.
110) الإمام شرف الدين، (ت: 743هـ)فتوح الغيب، في الكشف عن قناع الريب، (مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 472 تفسير تيمور)جـ:1، ورقة 94نقلا عن من أسرار حروف العطف في القرآن الكريم، ص:87.
111) تفسير الطبري جـ:3، ص: 217.
112) المرادي: الجني الداني ، ص: 70.
113) تفسير الطبري، جـ:1،ص:440.
114) ص: 57،49
115) يراجع إملا ما من به الرحمن:4/ص:259, وحاشية الشهاب: 217/7.
116) الصافات:55-61.
117) يونس: 57-58.
118) إملاء ما من به الرحمن: 236/2.
119) المطففين: 22-26.
120) البقرة: 185.
121) ينظر الطيبي فتوح الغيب، جـ:2،ص:152.
122) المدثر: 1-5
123) الكشاف ، جـ:4، 18 وينظر القرطبي، جـ:10، ص:6854
124) الإسراء: 79
125) المزمل: 6 والطور 18-39
126) ق: 39-40

المصادر والمرجع

1- القرآن الكريم.

- إبراهيم أحمد إبراهيم.

1- البلاغة عند ابن جني، رسالة ماجستير (كلية البنات، جامعة عين شمس، 1955م).

- الأصفهاني، أبو الفرج، على بن الحسين (ت:356هـ=976م).

2- كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء. (مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1383هـ= 1963م)

- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد (ت:1270هـ)

3- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، التاريخ [بدون]).

- الأصفهاني، الراغب، الإمام العلامة الحسين بن محمد المفضل (ت:502هـ)

4- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: عدنان داؤدي (مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1381هـ=1961م).

- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد (ت:1270هـ)

5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، التاريخ [بدون]).

- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت:256هـ)

6- الجامع الصحيح (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م).

- أبو البقاء، أيوب بن موسى الكوفي (ت: 1094هـ)

7- الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان دروس محمد المصرى، الدكتور، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، التاريخ[بدون])

- الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى (ت:279هـ)

8- سنن الترمذي، بشرح بن العربي المالكي (القاهرة:1931م)

- التفتازاني، العلامة سعد الدين بن مسعود بن عمرالخراساني (ت:793هـ)

9- حاشية السعد على الكشاف ضمن الكشاف.

10- شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع (منشورات دارالحكمة، قم، إيران، التاريخ [بدون])

- ابن الجزري محمد بن على (ت:833هـ)

11- غاية النهاية في طبقات القراء (دارالكتب العلمية، بيروت، ط:3، 1982م)

- الجونفوري محمود بن محمد

12- الفرائد في شرح الفوائد (المطبعة المجيدية، 1331هـ)

- الخضري، محمد أمين، الدكتور

13- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (مكتبة وهبة القاهرة، ط:1989،1م).

14- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم) مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م)

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت: 1069هـ)

15- حاشية الشهاب المسمات عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (دار صادر، بيروت، التاريخ [بدون])

- الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين (ت: 606هـ)

16- التفسير الكبير (دارالكتب العلمية، طهران، ط:2، التاريخ [بدون])

- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:794م)

17- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط:1، 1958م)

- رضي الدين محمد بن الحسن الاسترا بازي (ت:686هـ)

18- شرح الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر (دارالبار لنشر والتوزيع مكة المكرمة، التاريخ [بدون])

- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:794م)

19- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط:1، 1958م)

- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر جار الله (ت: 538هـ)

20- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دارالمعرفة، بيروت التاريخ [بدون])

21- المفصل في علم العربية، تحقيق: السيد بدر الدين الشيساني (دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور-باكستان، التاريخ [بدون])

- سراج الدين الكناني الفارسي

22- كشف الكشاف، تحقيق: محمد محمود عبد الله السلمان (مخطوط بكلية اللغة العربية، القاهرة)

- أبو السعود قاضي محمد بن محمد المصطفى العمادي(ت: 982هـ)

23- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور، بتفسير أبي السعود (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:2، 1990م)

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف (ت:626هـ)

24- مفتاح العلوم (مطبعة التقدم العلمية بمصر، التاريخ [بدون]).

- السهيلي، عبد الرحمن بن محمد أبو القاسم (ت: 581هـ)

25- نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد عوض (دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1992م)

- السيرافي، أبو سعيد (ت: 368هـ)

26- شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي أريح هاشم (مكتبة الكليات الأزهرية ودارالكفر للطباعة 1974م)

- سيبويه، أبو عمر عثمان بن قنبر (ت: 180هـ)

27- الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون (عالم الكتب، الشركة اللبنانية للطباعة، بيروت ط:3، 1983م).

- الصعيدي، عبد المتعال

28- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م)

29- البلاغة العالية، مراجعة، عبدالقادر حسين، الدكتور (مكتبة الآداب ط: 1991م)

- الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ)

30- تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري (دارالقلم، بيروت، لبنان، التاريخ [بدون]).

31- تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري، تحقيق: محمد شاكر (دارالمعارف، ط:2، التاريخ [بدون]).

- الطيبي، الإمام شرف الدين (ت: 743هـ)

32- التبيان في البيان، تحقيق: الدكتور عبد الستار حسين زموط (دارالجيل، بيروت، ط:1، 1996م).

33- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (مخطوط بدارالكتب المصرية تحت رقم 472 تفسير تيمور.

- ابن عاشور محمد طاهر (ت:1393هـ=1973م)

34- التحرير والتنوير (مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط:1، 2002هـ)

- عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت:963م)

35- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة، مصر، 1947م)

- ابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 541هـ)

36- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفأس (ط: 1411هـ)

- عضيمة، عبد الخالق

37- دراسات في أسلوب القرآن الكريم (مطبعة حسان، شارع الجيش، القاهرة، [بدون])

- العكبرى، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: 616هـ)

38- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقرءات في جميع القرآن تصحيح وتحقيق: إبراهيم عطوة عوض (المكتبة العلمية، لاهور-باكستان، التاريخ [بدون])

39- التبيان في إعراب القرآن (مطبعة عيسى البابي الحلبي، التاريخ [بدون]).

- الفراء أبو ذكريا (ت:207هـ)

40- معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1970م)

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ)

41- الجامع لأحكام القرآن (دار إحياء التراث؛ بيروت، لبنان، ط:2، 1952م)

- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت: 273هـ)

42- سنن ابن ماجه، تحقيق: فؤاد عبد الباقي (القاهرة، المطبع [بدون] 1952م)

- المالقي، الإمام أحمد بن عبد النور (ت:179هـ)

43- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط:1، 1975م)

- المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم (ت:749م)

44- الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: ط محسن (مؤسسة دار الكتب، جامعة موصل 1971م)

45- رسالة في جمل الإعراب، تحقيق: سهير محمد خليفه، الدكتور، (القاهرة،:1، 1987م)

- المرزوقي، أحمد بن محمد (ت:421هـ)

46- شرح ديوان الحماسة نشر أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون (مطبعة التأليف والترجمة (القاهرة، ط:3، التاريخ [بدون])

- ابن منظور، محمد جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ)

47- لسان العرب (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: 1995م)

- ابن ناظم، بدر الدين (ت: 686هـ)

48- شرح الألفية بن مالك (بيروت، المطبع [بدون] 1312هـ).

- الهروي، على بن محمد (ت: 415هـ)

49- الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي (مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 1993م)

- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري (ت: 761هـ)

50- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق: عبد المتعل الصعيدي ومحمد محي الدين عبد الحميد (مطبعة محمد على القبيح، ط:3، التاريخ [بدون])